أشعيا ٤٠-٥٥ خروج جديد وحياة جديدة

رئيس التحرير

بعد أن نشرت **مجلة بيبليا** (٢٠٠٦/٣١) دراسات لنصوص مختارة من أش ٤٠-٤٨، تواصل في هذا الإصدار نشر ما جاد به المحرِّرون من أبحاث حول نصوص مختارة من أش ٤٩-٥٥، فتكمل بالتالي اللوحة المبتغاة حول أشعيا الثاني (٤٠-٥٥)، آملين أن يبقى صوت "أمير الأنبياء" مدويًا بروعة أسلوبه وبسموّ رسالته وتعاليمه التي هي رسالة الرب الإله الخالق والمخلِّص.

هدف أش ٤٠-٥٥

ترقى الفصول ٤٠-٥٥ من سفر أشعيا إلى زمن نَفي يهوذا إلى بابل، وبالتالي ليس فقط إلى زمن اختبار الألم الأقصى، واليأس المميت، والشك القتّال، بل أيضًا الى زمن تبيّن رحمة الله العظيمة، وأمانته لوعده بأن يبقى أبدًا مع شعبه، ولعمله الخلاصي الراسخ. تأتي الفصول ٤٠-٥٥ إذًا لتدحرج الحجر الضخم عن صدور بني إسرائيل، مبشّرة بقيام الإمبراطورية الفارسيّة، وبانتصارها على البابليّين القاهرين، وبتحرير العبرانيّين المسبيّين. سيحلّ الرجاء بالله والوعد بمنقذٍ هو مسيح الرب، بدلاً من الإذلال والقهر والموت.

انطلاقًا من مضمون ف ٤٠-٥٥، يمكننا التأكيد أنّ رسالة هذه الأخيرة مرتبطة بوضوح بمرحلة المنفى، إذ لا نجد أيَّ ذكرٍ لملوك يهوذا، ممّا يعني أنهم كانوا قد زالوا من الوجود، خاصّة وأنّ معظم الأنبياء كانوا يوجّهون كلامهم إلى الملوك أوّلاً، وهذا ما هو غائب عن الساحة أيضًا؛ ولا نصادف ذكرًا للعبادة الطقسيّة المعتادة في هيكل أورشليم، ومعظم الأنبياء يولون هذه العبادة والهيكل الأهميّة التي يستحقّان؛ ولا كلام على معاهدات أو اتفاقيات أو مواثيق مع الشعوب المجاورة أو البعيدة.

بالمقابل، هناك اهتمام صارخ بالعودة من المنفى إلى أرض الوطن، إلى يهوذا، وبإعادة الإعمار، خاصة إعمار الهيكل ومدينة أورشليم، وهذا لن يتحقّق دون القضاء على بابل المحتلّة والناهبة والسابية والهادمة؛ نعم البابليّون هم المسؤولون عمّا حلّ بشعب الله وبمدنه وبقراه، وخاصة ببيت الرب، من خراب وكوارث ومآسي، ولكنّ ملوك يهوذا أيضًا يتحمّلون مسؤوليّة ما حصل.

هنا يظهر على الساحة قورشُ الملك الفارسيّ العظيم الذي نجح في الاستيلاء على بابل ما بين السنتين ٥٣٩ و٥٣٧ ق. م.، فكان الحدث بحدّ ذاته سببَ بارقةِ أملٍ وعلامةَ رجاءٍ حيث لم يكن هناك أملٌ ولا رجاء. على يد قورش سيصنع الرب العظائم والمذهلات لصالح شعبه.

روابط بين أش ١-٣٩ و٤٠-٥٥

- تستعين ف ٤٠-٥٥ بالقسم الاول من سفر أشعيا (ف ١-٣٩)، فتستعمل صورًا مستلَّة من هذه الأخيرة، مثل صورَتي القفر (٣٥: ١-٢)، وصهيون (٣٥: ١٠)، وغيرهما. كذلك، بالإمكان أن نتبيّن أن **أسلوبَ** عدّةِ مقاطع من ف ٤٠-٥٥ كما أيضًا **مضمونها** (أنظر مثلاً ٤٢: ١٠؛ ٤٤: ٢٣؛ ٤٥: ٨...)، هي على علاقة وطيدة بأناشيد وردت في ف ١-٣٩، مثل ف ١٢. أضف إلى ذلك أنّ التّهجمات على بابل وإطلاق الأقوال الصاخبة ضدّها في ٤٧: ١-٧ هي شبيهة بما سبق وورد في ١٣-٢٠.
- ونجد في ف ٤٠-٥٥ بعض الصيغ التي لا وجود لها إلاّ نادرًا في ف ١-٣٩، مثل الدعوة، وأكثرَ من مرّة، إلى **تسبيح الله** لأجل ما سيحقّقه في مستقبل قريب، ومثل **الأقوال النبويّة التي تبشّر بالخلاص**، والأقوال الأخرى **ضدّ الأمم** وضدّ آلهتها، والتي تأخذ طابعًا قضائيًا وكأننا أمام محاكمة. وهنا لا بدّ من لفت النظر إلى

وجود استيحاء جليّ من المزامير، كونُ كاتبِ ف ٤٠–٥٥ على بيّنة من الصيغ الليتورجيّة التي أحسن استعمالها في صياغة رسالته النبويّة المبشّرة بالخلاص.

- في ف ٤٠–٥٥، نحن أمام **نبيّ مهتمّ بشعبه**، شعب الله، المسحوقِ والمذلولِ والمشتّت، والمُستَعبَد للبابليّ المستبدّ والظالم؛ هو يعلم علمَ اليقين كم أنّ المنفيّين كانوا بحاجة إلى جرعة من الأمل حيث كان اليأس كالآكلة قد تغلغل حتى عمق كيانهم، وإلى وعود بالخلاص، أي بخروج جديد وبحياة جديدة.
- بين ف ١–٣٩ وف ٤٠–٥٥ **ألقاب مشتركة لله**، تلعب دورًا محدّدًا في كلا القسمين، مثل: "قدوس اسرائيل" الذي يَرِد في ف ٤٠–٥٥ في إطار الكلام على الخلاص الذي بشّر به النبيّ شعبه، بينما في ف ١–٣٩ في إطار أقوالٍ تتضمّن نوعًا من المحاكمة والدينونة. كذلك للقب "الله الملك"، الذي يَرد في قسمَي الكتاب، هدفٌ واضح لدى النبي، ألا وهو التركيز على سيادة الله المطلقة، والذي يحرّك الأمم وفق إرادته ويسيّرها وفق تصميمه. بالتالي كلّ لقب يُدرجه الكاتب في نبوءته له دوره في مشروع الله الخلاصيّ.
- نصادف في قسمَي سِفرِ أشعيا الأوّلَين **موضوعات مشتركة**، ممّا يدلّ على الهمّ الواحد، كما أيضًا على المدرسة الواحدة في كليهما. فعبارة "أعمى وأصمّ" التي يلصقها النبيُّ ببني إسرائيل في يهوذا، يشير بها في ١–٣٩ إلى موقف الشعب من الدينونة (٦: ٩–١٠)، بينما في ف ٤٠–٥٥ تُدرَج في موضوع رسالة الخلاص (٤٢: ١٦–١٩؛ ٤٣: ٨؛ ٤٤: ١٨). كذلك موضوع "السلام لأورشليم" أو لـ"صهيون" هو ذو أهميّة قصوى في تصميم الله للمدينة المقدّسة؛ نجده في ف ١–٣٩ (رج ٢: ٢–٤؛ ٤: ٢–٦؛ ٢٩: ٥–٨)، كما في ف ٤٠–٥٥ (٤٠: ٩–١١؛ ٤٤: ٢٦–٢٧؛ ٤٨: ١–٢؛ ٤٩: ١٤–٢٣؛ ٥١: ٣–٢٠؛ ٥٢: ١–١٠؛ ٥٤: ١١–١٤).

انطلاقًا ممّا تقدّم حول ألقاب الله، وحول الموضوعات المشركة، يمكننا أن **نستنتج** أن ف ١–٣٩ و ٤٠–٥٥ لديها لاهوت مشترك ذو ميزات ومعطيات مشتركة؛ فالله متسام، وقدوس، وملك، وذو سلطان قادرٌ به أن يبدّل وضع شعبه رأسًا على عقب؛ المهمّ أن يَفهَمَ هذا الشعب أن الله يشاء أن يفعل ذلك لصالحه، مقابل أن يثق هو بإلهه ويرجوه.

رسالة رجاء

نحن إذًا أمام رسالة رجاء تتضمّنها الموضوعات البيبليّة اللاهوتيّة التي يزخر بها نصّ النبيّ الذي حرّر ف ٤٠–٥٥. وأحد هذه الموضوعات يتمحور حول الله "المخلّص" زارِع الرجاء في نفوس شعبه، كما نتبيّن من القول التالي: "لا تَخَف، فإنّي فديتك، ودعوتك باسمك، فأنت لي" (٤٣: ١). شعب الله القابع في الظلمة وظلال الموت بحاجة إلى الخلاص، والإلهُ الذي أخرج الأجداد من العبوديّة في مصر، سيحرّر الأبناء الذين في بابل، فيخلقهم من جديد (رج ٤٠: ١٢–٢٢؛ ٤٤: ٢٤؛ ٤٥: ١٨)، ويجدّد أرضهم، فـ"يجعل صحراءهم كجنّة عدن" (٥١: ٣).

هكذا يخلص الشعب ويتجدّد، فيؤدّي عبادة مطهّرة وصافية بالقلب والروح لمَن أحياه وردّ إليه الروح.